السفارات النبوية

للاستاذ محمد عبد الله عنان

مضت خمسة أعوام على هجرة النبي العربي (عليه السلام) الى المدينة قبل أن تهدأ ثائرة قريش أو تفتر عن مخاصمته ومهاجمته ؛ وأنفق النبي هذه الأعوام الخمسة على أهبة الدفاع يرد محاولات قريش لغزو معقله وملاذ دعوته ، أولا في بدر ثم في أحد ثم في موقعة الخندق . فلما وهنت قوى قريش بعد الخندق ، استطاع النبي أن يعنى بالتفكير في العمل الايجابي لمقالة خصومه وبث دعوته . ولم تكن الدعوة الاسلامية قد تجاوزت يومئذ وديان مكة والمدينة ؛ ولم تثبت دعائمها الا في المدينة بين عصبة المهاجرين والانصار ؛ ولم يك ثمة ماينبيء بأن هذه البداية الضئيلة إنما هي الحجر الأول في صرح الدولة الاسلامية العظيمة التي قامت بعد ذلك بعشرين عاما فقط على أنقاض دولتين من أعظم دول التاريخ هما الدولة الفارسية والدولة الرومانية الشرقية . وكان فشل قريش في موقعة الخندق حاسما في تطور هذه الخصومة التي أضرمت قريش لظاها مذ أذاع النبي رسالته . ومنذ الخندق استطاع الاسلام أن يفتح غزواته للامم والاديان القديمة ؛ ففي أواخر العام الخامس وأوائل العام السادس للهجرة قام النبي بعدة غزوات محلية لبعض القبائل والبطون المعادية وفي أواخر العام السادس نظم النبي بعوثه أو سفاراته لأكابر الملوك والامراء المعاصرين . وفي العام السابع كانت موقعة خيبر التي سحق فيها اليهود المخالفون . وفي العام الثامن كان فتح مكة وخضوع قريش ؛ وكان ظفر الاسلام حيثما استهل رسالته وانبعثت اشعته الأولى

وكانت السفارات النبوية بين حوادث هذا العهد حادثا فريدا ؛ وكانت دليلا جديدا على ما تجيش به نفس الرسول العربي من سمو في الشجاعة وقوة في الايمان برسالته . ولم يكن الاسلام يومئذ قوة يخشى بأسها فيدعو قيصر وكسرى الى اعتناق دعوته ؛ ولكن محمدا أرسل للبشرية كافة بشيرا ونذيرا . وكما كانت الغزوات النبوية المتواضعة سبيلا للذود عن الاسلام ووسيلة لتأييد كلمة ، فكذلك كانت السفارات النبوية سبيلا لاداء رسالته وابلاغ صوته الى الملوك والامراء الذين يحكمون العالم القديم يومئذ . ففي شهر ذي الحجة سنة ست من الهجرة (ابريل سنة ٦٢٨ م) (١) بعث النبي كتبه وسفراءه الى ثمانية من أولئك الملوك والامراء هم قيصر قسطنطينية ، وقيروس حاكم مصر الروماني ، والحارث بن ابي شمر الغساني الذي عامل قيصر على الشام ، وكسرى (خسرو) ملك فارس ونجاشي الحبشة ، وثلاثة من امراء الجزيرة المحليين هم هوذة بن علي صاحب اليمامة ، والمنذر بن ساوى صاحب البحرين ، وجيفر بن جلندا واخوه صاحبا عمان . وقد كان هؤلاء ملوك العرب والعجم ، الذين يسودون الجزيرة العربية يومئذ او يتصلون بها بأوثق الصلات . وكان اهمهم واعظمهم

الجميع « كأنما القائوا . يهمسون »

محمـــدا

الراعي — خيبكم الله ! قد والله خرج عليكم محمد ، ثم ما ترك منكم رجلا الا وقد وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته ، أفا ترون ما بكم ؟

الجميع « يضع كل منهم يده على رأسه »

حقا هذا تراب ، ما هذا التراب ؟

« يتطلعون الى فراش النبي وفيه علي في برد رسول الله »

أبو جهل « متطلعا »

والله ان هذا لمحمد نائما عليه برده

الراعي « كالمخاطب لنفسه »

ان محمدا قد هاجر أيها الغافلون ..... !!

« جميع الحقوق محفوظة لتوفيق الحكيم »

---

(١) هذه هي رواية ابن اسحاق اقدم رواة السيرة ، وكذا ابن عبد الحكم والطبري (راجع فتوح مصر واخبارها ص ٤٤ — والطبري ج ٣ ص ٨٤) . وهي أوثق رواية فيما نعتقد وخصوصا لاتفاقها مع ترتيب الحوادث والتواريخ التي تقدمها الرواية البيزنطية عن هذه الفترة من حكم هرقل (راجع بتلر — فتح العرب لمصر — ص ١٢٤ والهامش — وراجع Milne - Egypt under Roman Rule. P. 115)

وأيضا (Muir - The Life of Mohamed IV P. 50) ويقول الواقدي انها كانت في المحرم سنة ٧ (الطبري ج ٣ ص ٩١ ويأخذ المستشرق الالماني شبرنجر بهذه الرواية ويرجح بالاعتماد على بعض المقارنات التاريخية ان البعوث كانت في المحرم سنة ٧ (مايو - يونيه سنة ٦٢٨ م) . وهو خلاف يسير — راجع : (Sprenger : Das Leben und die Lehre Mohamed I P. 261)

بلا ريب قيصر الروم وملك فارس ، وقد كانا يقتسمان سواد العالم القديم يومئذ ؛ ويبسط اولهما حكمه على الشام وما اليها جنوباً حتى شمال الحجاز ، ويبسط الثاني حكمه على شمال شرقي الجزيرة ، ويدين له كثير من امراء العرب بالولاء والطاعة . وكان الاول زعيم الامم النصرانية ، والثاني زعيم الامم الوثنية

نظمت هذه السفارات وارسلت الى مختلف الانحاء ، لكل ملك وفد أو رسول ولكل كتاب نبوي . وكانت مهمتها جميعاً واحدة . وتقدم الرواية الاسلامية الينا صور الكتب المرسلة ، وهي جميعاً في صيغ واحدة او متماثلة : وفيها جميعاً يدعو النبي ملوك عصره الى الاسلام والايمان برسالته . وكان سفير النبي الى هرقل قيصر الدولة الرومانية الشرقية دحية بن خليفة الكلبي ؛ واليك نص الكتاب النبوي الى قيصر حسبما ورد في السيرة وفي الصحيحين : « من رسول الله الى هرقل عظيم الروم ؛ سلام على من اتبع الهدى — اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم : أسلم يؤتك الله اجرك مرتين ، فان توليت فان عليك إثم الاريسيين (١) ؛ يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً اربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » (٢) . وكان هرقل (الاول) قد تسنم عرش قسطنطينية قبل ذلك بثمانية عشر عاما بعد حوادث وخطوب جمة ، وقضى معظم عهده في حروب طاحنة مع الفرس . وكان الفرس قد غلبوا على مصر وسوريا وآسيا الصغرى ، وهددوا قسطنطينية نفسها ، فاستطاع هرقل ان يردهم عن اقطار الدولة ، وان يطاردهم حتى قلب بلادهم ، وان يسحق قواتهم في موقعة نينوى الحاسمة (ديسمبر سنة ٦٢٧) . وفر كسرى الثاني ملك الفرس المعروف بكسرى ابرويز من عاصمته المدائن ، ثم قبض عليه ولده شيرويه (سيروس) وقتله وجلس على العرش مكانه ، وعقد الصلح مع هرقل . وعاد قيصر الى قسطنطينية ظافراً يحمل صندوق « الصليب المقدس » الذي كان الفرس قد انتزعوه من بيت المقدس . ثم سار في خريف هذا العام (سنة ٦٢٨) حاجاً الى بيت المقدس سيراً على الاقدام ومعه الصليب ليرده الى موضعه بالقبر المقدس ؛ فينما هو ببيت المقدس يؤدي مراسم الحج ؛ اذ وفد عليه حاكم بصرى (بوسترا) ومعه دحية الكلبي ؛ فقدم اليه كتاب النبي ، واخبره بمضمون سفارته (١) . وتقول الرواية الاسلامية ان هرقل استقبل سفير النبي بأدب وحفاوة ، وسأله عن بعض احوال النبي واحوال رسالته ؛ بل تذهب الى القول بأن هرقل تم باعتناق الاسلام لولا أن خشي نقمة البطارقة ، وانه صارح دحية برغبته وخشيته . وهذه مبالغة بلا ريب . ونستطيع ان نتصور ما اثارته سفارة النبي في نفس قيصر من بواعث الانكار والدهشة ؛ ولعله لم يكن قد سمع عن محمد ورسالته من قبل قط ؛ بيد انه رد السفير النبوي ببعض المجاملات والاقوال الودية . ولما عاد هرقل الى عاصمته وصلته رسالة أخرى تلقاها عامله على الشام المنذر بن الحارث الغساني من النبي على يد رسوله شجاع بن وهب يدعوه فيها الى الاسلام ، ويحذره عواقب المخالفة (٢) فبعث بها المنذر توا الى هرقل وسأله ان يسير لمحاربة ذلك الذي اجترأ على هذا الوعيد فلم يوافقه هرقل على ذلك ، ورد شجاع كما رد دحية ببعض المجاملات والتحيات

ووصلت سفارة النبي الى مصر في الوقت نفسه يحملها حاطب ابن بلتعة اللخمي . وتجمع الرواية الاسلامية على أن هذه السفارة كانت موجهة الى « المقوقس عظيم القبط » وتقدم الينا صورة الكتاب النبوي الذي أرسل اليه مستهلا بهذه العبارة : « بسم الله الرحمن الرحيم ؛ من محمد رسول الله الى المقوقس عظيم القبط » (٣) وهو في نص الكتاب الذي وجه الى هرقل وفي نفس عباراته مع تغيير يسير في بعض الروايات (٤) ؛ وفيه يدعى المقوقس كما دعى

(١) وفي رواية أخرى « فان عليك اثم الاكارين » وفي صورة اوردها ابو عبيدة لكتاب النبي الى هرقل يختم الكتاب بما يأتي : « والا فلا تحل بين الفلاحين وبين الاسلام ان يدخلوا فيه او يعطوا الجزية » (راجع صبح الاعشى في ج ٦ ص ٣٧٦) والاريسيين ليست عربية وكذلك الاكارين . ولعلها تبنى على ضوء عبارة ابي عبيدة . الفلاحين او الزراعا العاملين .

(٢) اورد ابو عبيدة في كتاب الاموال نصا آخر لكتاب النبي الى هرقل يدعوه فيه الى الاسلام او دفع الجزية (راجع صبح الاعشى ج ٦ ص ٣٧٦ حيث يورد نصوص باقي الكتب النبوية) . ويورد ابن عبد الحكم نفس هذا النص ، ولكن على انه نص الكتاب الذي وجه الى المقوقس (حاكم مصر الروماني) — (راجع فتوح مصر ص ٤٦) .

(١) الطبري (ج ٣ ص ٨٥ و ٨٦ ، وفي رواية أخرى أن الذي قدم كتاب النبي الى هرقل هو حاكم بصرى بعد أن تلقاه من دحية . وفي بعض الروايات أيضاً أن الرسالة وصلت الى هرقل أثناء رحلته قبل أن يصل الى بيت المقدس Mutin; bipi; d- lg

(٢) يورد الواقدي نص هذه الرسالة (الطبري ج ٣ ص ٨٨)

(٣) راجع نص الكتاب كله في ابن عبد الحكم — ص ٤٦

(٤) راجع صبح الاعشى ، فهو يورد نصا آخر لهذا الكتاب (ج ٦ ص ٣٧٧)

هرقل الى اعتناق الاسلام . وهنا يجب أن نقف قليلا عند شخصية المقوقس هذا الذى تعرفه الرواية الاسلامية دائما بأنه عظيم القبط . فقد كانت مصر يومئذ ولاية رومانية استردها هرقل من الفرس بعد أن لبثوا فيها عدة اعوام (١) ورد اليها سلطة قسطنطينية ، وعاد يحكمها الولاة الرومانيون كما كانت من قبل ؛ ولم يكن لاهلها القبط أى نوع من الاستقلال . والظاهر أن هذه الحقائق لم تكن مجهولة فى المدينة حيث تدل رسالات النبى وكتبه على ان الاحداث والاوضاع السياسية التى كانت تسود الجزيرة العربية وما يجاورها من الممالك كانت معروفة من النبى وصحبه . وقد كان حاكم مصر الرومانى فى نحو الوقت الذى تتحدث عنه هو الخبر « كيروس » وهو فى نفس الوقت حاكم مصر وبطريقها الأكبر . وقد استطاع البحث الحديث أن يلقى كثيرا من الضياء على شخصية « المقوقس » وأن يتعرف فيه شخصية « كيروس » نفسه ؛ واذا فالمرجح أن المقوقس الذى تردد الرواية العربية اسمه انما هو « كيروس » حاكم مصر الرومانى (٢) بيد أن هناك نقطة ما تزال غامضة هى أن « كيروس » لم يعين حاكما لمصر إلا فى سنة ٦٣١ م ، أعنى بعد ارسال السفارات النبوية باكثر من عامين ؛ ولا يمكن أن تفسر هذه الثغرة فى التواريخ الا بأن السفير النبوى قد انفق الوقت فى قطع الطريق ثم فى الانتظار أو أن « كيروس » كان معينا قبل ذلك لحكم مصر بصفة غير رسمية ثم عين بصفة رسمية . بيد أن الواقدى يقدم الينا حلا لهذا المشكل ، فيقول ان سفارة النبى الى « المقوقس » كانت فى السنة الثامنة من الهجرة لا فى أواخر السنة السادسة (٣) . وأواخر السنة الثامنة من الهجرة توافق أواسط سنة ٦٣٠ م ، فاذا اضفنا الى ذلك موعد المسافة من المدينة الى مصر استطعنا أن نضع مقدم السفير النبوى فى اوائل سنة ٦٣١ م . وعلى اى حال فالمرجح والمعقول هو أن السفارة النبوية لم توجه فى مصر لاحد غير الحاكم العام ، وقد كان هذا الحاكم العام هو « كيروس » . ومما يؤيد هذه الحقيقة هو أن السفير النبوى قصد الى الاسكندرية ليؤدى مهمته وقد كانت الاسكندرية يومئذ مقر الحاكم العام الرومانى

اخترق حاطب بن بلتعة اللخمي مصر من شرقها الى غربها وقصد الى الاسكندرية ليؤدى سفارة النبى ورسالته ، واخذ الى « كيروس » فى مجلسه المشرف على البحر ؛ فاستقبله بترحاب وحفاوة ، وتلقى منه الكتاب النبوى وناقشه فى مضمونه ، وسأله عن النبى ودعوته . وهنا تقول الروايه الاسلامية أيضا كما قالت فى شأن هرقل ، ان المقوقس (كيروس) أفضى الى حاطب بأنه مؤمن بصدق رسالة النبى ، وانه يود لو تبعه لولا خشيته من القبط ؛ ثم صرف حاطبا بكتاب منه الى النبى وهدية يذكرها فى الكتاب . واليك نصه كما يورده ابن عبد الحكم اقدم مؤرخ لمصر الاسلامية : « لمحمد بن عبدالله من المقوقس عظيم القبط . سلام ، أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ماذكرت وماتدعو اليه . وقد علمت ان نبيا قد بقى وقد كنت أظن أنه يخرج بالشام . وقد اكرمت رسولك وبعثت اليك بجاريتين لهما مكان فى القبط عظيم ، وبكسوة ؛ وأهديت اليك بغلة لتركبها والسلام » (١) . وفى بعض الروايات ان الهدية تضمنت فوق ذلك حمارا وشيئا من العسل والمال (٢) . والجاريتان هما مارية القبطية وأختها شيرين . وقد أسلمتا على يد النبى ؛ وتزوج النبى بمارية ورزق منها بولده ابراهيم الذى توفى طفلا ؛ ووهب أختها شيرين لأحد أصحابه المقربين اليه . وفى زواج النبى بمارية ، وفى مولد ولده ابراهيم ، دليل مادى قاطع على انه كانت ثمة مخاطبات وعلائق حقيقية بين النبى وعظيم مصر يومئذ ، أعنى « كيروس » الحاكم الرومانى

٭٭٭

هكذا كانت النتائج التى انتهت اليها الكتب والسفارات النبوية الى قيصر وعامليه على مصر والشام ، وقد كانت نتائج سلبية ، ولم تكن حاسمة فى شىء . بيد أنها كانت بلاريب ذات أثر معنوى عميق فى البلاط الرومانى وفى الكنيسة

وأما الكتب والسفارات النبوية الى الناحية الشرقية من الجزيرة فقد لقيت مصاير أخرى . وكانت ثلاثا أهمها سفارة فارس ، وكان سفير النبى الى ملك فارس عبدالله بن حذافة السهمى ، فقصد الى المدائن ومعه الكتاب النبوى . وتقدم الرواية الاسلامية ايضا نص هذا

(١) براد بالفتح الفارسى لمصر هنا ، الفتح الثانى الذى تم فى عهد كسرى سنة ٦١٦ م حيث فتح الفرس آسيا الصغرى وفلسطين ومصر ولبثوا فى مصر زهاء عشرة اعوام حتى اجلاهم هرقل عن مصر وباقى املاك الدولة (سنة ٦٢٧ م)

(٢) راجع بتلر — ص ١٢٦ و ص ٤٤٠ وما بعدها Lane Poole; Milne ; ibid, 115 Egypt in tha Middle ages p. 5. 7

(٣) راجع الطبرى — ج ٣ ص ٩٠

(١) فتوح مصر ص — ٤٧

(٢) فتوح مصر ص — ٤٨

الكتاب فيما يلي : « بسم الله الرحمن الرحيم ـ من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس ـ سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ، ورسوله وشهد ان لا إله الا الله وحده لاشريك له وان محمدا عبده ورسوله وادعو بدعاء الله ، فاني انا رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حيا ، ويحق القول على الكافرين ؛ فاسلم تسلم ، فان ابيت فان اثم المجوس عليك » (١) . وكان ملك الفرس يومئذ كسرى الثاني (أو كسرى ابرويز) ؛ فلما قرىء عليه كتاب النبي مزقه ، وأهان السفير وطرده ؛ وبعث إلى عامله على اليمن باذان الفارسي أن يبعث إلى محمد من يتحقق خبره أو يأتيه به ؛ فصدع بالأمر . بيد أنه حدثت في تلك الاثناء بالمدائن حوادث خطيرة ، فان شيرويه (سيروس) ولد كسرى ثار عليه وقتله وانتزع الملك لنفسه . ويضع الواقدي تاريخ هذا الانقلاب في العاشر من جمادى الأولى سنة سبع (٢) (سبتمبر سنة ٦٢٨ م) . فاذا صح هذا التعيين فان الرواية الاسلامية تكون معقولة متناسقة فيما تقوله من أن الذي استقبل سفير النبي وتلقى كتابه هو كسرى إبرويز ، ولكن أغلب الروايات على أن مقتل كسرى كان في فبراير سنة ٦٢٨ (ذي القعدة سنة ست) أعني قبل قيام البعوث النبوية بنحو شهر ؛ وإذاً فالمرجح أن الذي استقبل السفير النبوي هو شيرويه ولد كسرى . أما حادث ارسال كسرى لعامله على اليمن أن يتحقق خبر محمد أو يأتيه به فالمرجح أنه وقع قبل البعوث النبوية وقبل مصرع كسرى ببضعة أشهر لما نمى الى كسرى من ظهور الدعوة الاسلامية وتقدمها (٣)

وفي السنة الثامنة من الهجرة (٦٣٠ م) قصد الى البحرين سفير آخر هو العلاء الحضرمي ، ومعه كتاب نبوي الى أميرها المنذر ابن ساوى ؛ وقصد الى عمان عمرو بن العاص الذي أسلم قبل ذلك بأشهر قلائل ، ومعه أيضا كتاب نبوي الى أميريها جيفر وعباد ابني الجلندي زعيمي بني الأزد . وفي الكتابين يطلب النبي الى هؤلاء الأمراء اعتناق الاسلام أو أداء الجزية . بيد أنهما حسبما تنقل الرواية الاسلامية قد صيغا في أسلوب يخالف أسلوب الكتب السابقة . فمثلا تنقل الينا كتاب النبي الى أمير البحرين فيما يأتي : « من محمد النبي رسول الله الى المنذر بن ساوى — سلام عليك — فاني أحمد اليك الله الذي لا إله الا هو — أما بعد فان كتابك جاءني به رسلك ، وأن من صلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا واستقبل قبلتنا فانه مسلم له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين ؛ ومن أبى فعليه اداء الجزية . (١) » . ففي الكتاب خيار بين الاسلام ودفع الجزية لم يرد في الكتب السابقة ، وهو بهذه الصفة ذو صبغة عملية ؛ ثم هو يدل على أمر آخر هو أنه رد على استفهام وجهه أمير البحرين إلى النبي عن أحكام الاسلام . وقد تض من الكتاب الذي أرسل إلى أميري عمان شرح بعض أحكام الاسلام أيضا (٢) . وكان لهاتين السفارتين نتيجة عملية ، فان أمير البحرين ، وأميري عمان آمنوا برسالة النبي واعتنقوا الاسلام ، وأدوا الجزية عن رعاياهم غير المسلمين . وأرسلت سفارة ودعوة اخريان على يد سليط بن عمرو الى امير آخر من أمراء هذه الانحاء هو هوذة بن علي الحنفي صاحب اليمامة (٣) ؛ وكان نصرانيا ، فرد على النبي بكتاب خشن يطلب فيه مشاركة النبي في أمره وسلطانه شرطا لدخوله في دعوته .

* * *

بقي أن نتحدث عن سفارة النبي الى الحبشة ، وهي السفارة الوحيدة التي أرسلت الى ماوراء البحر . وقد كان ارسالها في ختام السنة السادسة او فاتحة السنة السابعة في نفس الوقت الذي ارسلت فيه سفارتا قيصر وكسرى . وكان بين الحبشة والنبي وانصاره قبل ذلك علائق ودية منتظمة . والى الحبشة لجأ كثير من انصار النبي ايام الهجرة فرارا من اضطهاد قريش ، واقاموا بها تحت حماية النجاشي ورعايته ، ومنهم جعفر بن أبي طالب عم النبي ، فلما نظمت السفارات النبوية الى « ملوك العرب والعجم » ، ارسلت سفارة الى ملك الحبشة (النجاشي) على يد عمرو بن أمية الضمري في ذي الحجة سنة ست اعني في نفس الوقت الذي ارسلت فيه سفارة قيصر ؛ ووجه النبي الى النجاشي كتابين ، يدعوه في أولهما الى الاسلام ؛ ويطلب اليه في ثانيهما ان يرسل الى المدينة من عنده من المسلمين اللاجئين . وقد صيغت دعوة النبي الى النجاشي في اسلوب خاص يخالف في روحه والفاظه ما تقدم من الدعوات . واليك نص هذه

---

(١) يورد الطبري صورة أخرى لكتاب النبي الى كسرى (ج ٣ ص ٩٠)

(٢) الطبري — ج ٣ ص ٩١

(٣) راجع Muir, ibid, IV-58 وكذلك Mueller : Der Islam I-149

(١) الطبري — ج ٣ ص ١٠٢ — ونقل صاحب صبح الاعشى عن السهيلي صورة أخرى لهذا الكتاب (ج ٦ ص ٣٩٨)

(٢) راجع صورة هذا الكتاب في صبح الاعشى — ج ٦ ص ٣٨٥

(٣) من ارض نجد الشرقية مما يلي عمان

الدعوة حسبما يقدمها الينا ابن اسحاق فى السيرة : « بسم الله الرحمن الرحيم - من محمد رسول الله الى النجاشى الاصحم ملك الحبشة ، سلم انت ؛ فانى أحمد الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ، واشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته القاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى ، فخلقه الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه ، وانى ادعوك الى الله وحده لاشريك له والموالاة على طاعته ، وان تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى فانى رسول الله ؛ وقد بعثت اليك ابن عمى جعفرا ونفرا معه من المسلمين ، فاذا جاءوك فاحترمهم ودع التجبر ، فانى أدعوك وجنودك الى الله ، فقد بلغت ونصحت ، فاقبلوا نصحى والسلام على من اتبع الهدى » . وقد كان النجاشى نصرانيا ، وكانت النصرانية تسود الحبشة منذ القرن الرابع . وفى الكتاب النبوى شرح لموقف الاسلام نحو النصرانية ونظريته فى خلق المسيح ؛ وهو موقف ليس فيه انكار ولا خصومة جوهرية الامن حيث الوحدة والتوحيد ؛ والكتاب النبوى ينوه بهذه الوحدة . وبعث النبى الى النجاشى أيضا يكلفه بأن يعقد زواجه من ام حبيبة بنت ابى سفيان ، وكانت من المسلمين اللاجئين ، وكانت زوجة لصحابى يدعى عبيد الله هاجر بها الى الحبشة ثم ارتد هنالك عن الاسلام وتنصر ، وتوفى مرتدا . وتقول الرواية الاسلامية ان النجاشى لبى دعوة النبى وأسلم ، وبعث اليه بكتاب يؤكد فيه اسلامه ، وانه حقق رغبته فى تزويجه من أم حبيبة نيابة عنه ، وبعثها اليه مع من كان عنده من المسلمين فى سفينتين كبيرتين . بيد أنه يلوح لنا أن القول باسلام النجاشى مبالغة يمكن أن تحمل على ما أبداه النجاشى من أدب ومجاملة فى استقبال السفارة النبوية ؛ والمرجح أن النجاشى لم يسلم ؛ ولو أسلم النجاشى يومئذ لكان الاسلام قد غمر الحبشة كلها ولكانت النصرانية قد غاضت منها . بيد أن الاسلام لم ينتشر فى الحبشة الا بعد ذلك بعصر ، وكان انتشاره فى الجهات الشرقية والجنوبية فقط (١)

ونلاحظ أخيرا ان البعوث والسفارات النبوية لم تقتصر على من تقدم من الملوك والأمراء . فقد أوفد النبى بعوثا وكتبا أخرى الى عدة من زعماء الجزيرة المحليين ، لتحقيق نفس الغاية فى ظروف وتواريخ مختلفة ، اسفر بعضها عن نتائج عملية مرضية ، ودخل بعض هؤلاء الزعماء فى الاسلام (١)

***

كانت هذه السفارات والكتب النبوية عملا بديعا من أعمال الدبلوماسية ، بل كانت أول عمل قام به الاسلام فى هذا الميدان . وليس أسطع من هذه السفارات دليلا على ما كانت تجيش به نفس النبى العربى من فيض فى الايمان والشجاعة ؛ ذلك النبى الذى لم يكن قد نجا بعد من اضطهاد قومه ، ولم يكن له سلطان يعتد به أو قوى يخشى بأسها ، يقدم فى ثقة وشجاعة على دعوة قيصر الدولة الرومانية وعاهل الدولة الفارسية ، وباقى الملوك والامراء المعاصرين على اعتناق دعوة لم تكتمل بعد فى مهدها ، على أن هذه الدبلوماسية الفطنة التى لجأ اليها النبى فى مخاطبة ملوك عصره لم تذهب كلها عبثا كما رأينا . ولا ريب أن النبى لم يكن يتوقع أن يلبى أولئك الملوك الاقوياء دعوته ، وهو مايزال يكافح فى بثها بين عشيرته وقومه . بيد أن إيفاد هذه البعوث كان عملا مهما للرسالة النبوية . وكان العالم القديم الذى يتوجه اليه النبى العربى بدعوته يقوم يومئذ على أسس واهية تنذر بالانهيار من وقت الى آخر ؛ وكانت الاديان القديمة قد أدركها الانحلال والوهن وفسدت مثلها العليا ؛ فكانت الدعوة الاسلامية تبدو فى جدتها وبساطتها وقوتها ظاهرة تستحق البحث والدرس . ولم يكن عسيرا أن يستشف أولو النظر البعيد ، ماوراء هذه الدعوة الجديدة من قوى معنوية تنذر بالانفجار فى كل وقت . وقد كان الانفجار فى الواقع سريعا جدا ، فلم تمض اعوام قلائل على ايفاد هذه البعوث حتى كان الاسلام قد غمر قلب الجزيرة العربية ، وانساب تيار الفتح الاسلامى الى قلب الدولتين الرومانية والفارسية ، واخذ العرب أبناء الدين الجديد وحملة الرسالة المحمدية يعملون بسرعة خارقة على انشاء الدولة الاسلامية الكبرى

وقد تناول البحث الغربى حوادث السفارات النبوية فيما تناول من حياة النبى العربى ، وكان جل اعتماده فى شأنها على الرواية الاسلامية ؛ وهنالك من كتاب السيرة الغربيين من يبدى ريبا فى أمر هذه السفارات ، أو يبدى بالاخص ريبا فى صحة الكتب وارسائل النبوية . ومن هؤلاء الكتاب المستشرقان الالمانيان فايل وميلر ؛ وان فايل يلاحظ مثلا أن فى بعض الكتب النبوية (كتاب النبى الى كيروس)

(١) راجع رواية الطبرى عن ابن اسحاق والواقدى (ج ٣ ص ٨٩ و ٩٠) وراجع أيضا بلاذرى ص ١٢٥ وكذلك Mujr ; ibid IV 58 والهوامش

(١) راجع فى صبح الاعشى بعض هذه الكتب والسفارات من ارسالها النبى (ج ٦ ص ٣٦٨ و ٣٧١ ، و ٣٨١ و ٣٨٢

آيات قرآنية لم تكن قد نزلت وقت ارسالها مما يدل على انها قد وضعت فيما بعد (١) ، ويرتاب ميلر فى أن رسالة قد وجهت من النبي الى هرقل ، ولكنه مع ذلك يقدم ملخصا لحوادث السفارات النبوية كما وردت فى السيرة (٢)

أما نحن فلسنا نرى من الوجهة التاريخية ما يبعث على الشك فى صحة هذه السفارات النبوية ، بل نلمس بالعكس كثيرا من الادلة والقرائن على صحة معظم الوقائع التى اقترنت بها . وقد تبالغ الرواية الاسلامية فى بعض الوقائع حسبما اشرنا اليه فيما تقدم ولكن فى تعيين الرواية الاسلامية للتواريخ والاشخاص والامكنة ، وفى اتفاقها على كثير من الوقائع ، وفى موافقة الرواية الكنسية والبيزنطية لكثير منها خصوصا فيما يتعلق برسالة النبي الى قيصر وكيروس - فى ذلك كله ما يؤيد صحة كثير من هذه الاحداث الدبلوماسية الاسلامية الاولى . وانما يتطرق الشك فى نظرنا الى النصوص والصيغ التى تقدمها الرواية الاسلامية للكتب النبوية . ذلك انها لم ترد جميعا فى رواية ابن اسحاق اقدم مؤرخى السيرة ؛ وقد ورد بعضها بعد ذلك فى كتاب الواقدى الذى لم يصلنا منه سوى شذور قليلة ، وفى كتاب ابن عبد الحكم المصرى ، ثم فى الصحيحين (صحيح البخارى وصحيح مسلم) وفى الطبرى وغيره من الروايات المتقدمة (٣) ولكنها ترد بصيغ وألفاظ مختلفة مما يحمل الشك فى صحة هذه النصوص . وأكبر الظن أن هذه النصوص قد وضعت ، ورويت فيما بعد باعتبارانها تمثل أقرب الصور التى صيغت فيها الكتب النبوية ، وقدمها كتاب السيرة على انها أرجح النصوص المحتملة . بيد أن هذا الشك فى صيغ الكتب النبوية لا ينعدى الحقائق التاريخية التى تعضد الادلة والقرائن على صحة الكثير منها

لقد كانت السفارات النبوية حادثا سياسيا عظيما فى حياة النبي العربى ؟

محمد عبد الله عنان

المحامى

(١) G. Weil : Mohamed der prophet p. 198

(٢) Mueller : Der Islam - I - 148

(٣) توفى ابن اسحق سنة ١٥١ هـ — والواقدي ٢٠٧ هـ ، وابن عبد الحكم ٢٥٧ هـ ، والبخاري ٢٦٥ هـ ، ومسلم ٢٦١ هـ والطبري ٣١٠ هـ

خالد بن الوليـــد

القائد الذى لم يهزم قط (١)

للدكتور عبد الوهاب عزام

كان شرف قريش قبل الاسلام لبنى عبد مناف وبنى مخزوم ، وكان شرف بنى مخزوم الى المغيرة بن عبد الله بن مخزوم حتى آثر بعض ذريته اسم المغيرى على اسم المخزومى . وكان هشام بن المغيرة يسمى رب مكة ، ولما مات أرخت قريش بموته ، وكان ابنه ابو جهل زعيما من زعماء قريش . والوليد بن المغيرة أخو هشام كان أكبر رجل فى مكة . وكان يلقب الوحيد ، وريحانة قريش . ولما كلم زعماء قريش أبا طالب فى أمر النبي عرضوا عليه أن يأخذ عمارة بن الوليد ويسلم اليهم محمدا فقالوا كما روى ابن هشام : « يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى فى قريش وأجمله ، فخذه فلك عقله ونصره ، واتخذه ولدا فهو لك » .

وقال المفسرون فى قوله تعالى : « وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » . ان المشركين عنوا الوليد بن المغيرة فى مكة وعروة بن مسعود الثقفى فى الطائف . وقالوا فى الآيات « ولا تطع كل حلاف مهين » — الى ان كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين » والآيات : « ذرنى ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ، ومهدت له تمهيدا » . أنها نزلت فى الوليد بن المغيرة ومن أجل التنافس بين بنى عبد مناف وبنى مخزوم كانت عداوة هؤلاء للاسلام . روى ابن هشام قول ابى جهل ، « تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، وأعطوا فأعطينا حتى اذا تحاذينا على الركب ، وكنا كفرسى رهان ، قالوا منا نبي يأتيه الوحى من السماء فمتى ندرك مثل هذه ؟ »

كان للوليد بن المغيرة عشرة بنين أو ثلاثة عشر ، أسلم منهم ثلاثة عمارة وهشام وخالد .

وأم خالد لبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية أخت ميمونة

(١) اضطر فى ضيق الحال الى اقتضاب الحوادث فى هذه الترجمة الخالدة